"الوشم"

رواية السقوط السياسي والإحباط

بقلم محمد الجزائري

ويهطل الكابوس . الخوف من الخوف ذاته . الخوف من السقطة .. هذه المعاناة التي لونت اعماق جيل كامل من الشباب ، ليس الشباب حسب ، بل والرجال الرجال ، الخوف من الموت في الحياة ، هذا التعري الكامن الذي بزغ فجأة « كشمس وكصيحة »، اعارنا عارنا ، وأعارنا الاقنعة لكي نواجه ، ونخاف المواجهة في ذات الوقت .

هذا الفائض الزاخر بالالم ، بالحزن ، بالحشرجات .. كان فائض فكر لم يتكامل نضجه في المراس ، وفي التجربة . بل كان امام الموت شيئا اخر ، اما البطولة الخارقة حد التجاوز والانجاز، واما السقوط المتفاوت الدرجات حد التخلي ، أو التشبث ببقايا البقايا ولكن بيأس متجذر ..

« ان نكون أو لا نكون » امام حد المقصلة ، امام العسفوالتعذيب واجهاض كل آدمية الانسان او انسانية الكائن ... ذلك هو السؤال الذي واجه الشباب من ادباء العراق ـ بخاصة ـ بعد نكسة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

كان الزمن الخائب هو المدار . وكانت السقطة هي المحور.وكان « كريم الناصري » هو المبضع الذي يشرح جسد هذا الجيل ،عبر معاناته .. وكانت « الوشم » رغم صغر حجمها (٩٢ صفحة بالقطع المتوسط) قصة ـ طويلة ، أو رواية قصيرة « ـ كما اصطلح ـ وشاهدا وادانة لنموذج المثقف البورجوازي الصغير (١) الذي انخرط ـ ولم يحمل الايمان الصادق ـ في صفوف الحركة الوطنية فأنتسب الى الحزب ـ ربما مع الموجة وبحكم « المودة » ـ ثم ازاء العسف ـ اول تجربة عسف ـ سقط ،

(وأخذت اخطط تارة ، واكتب تارة اخرى ، وكسرت رقابا جديدة وامعنت في كسر رقاب اخرى . ثم القيت بالورقة والقلم وزفرت بقوة) (ص ٩٠) .

وامام السقطةوقف عبدالرحمن مجيد الربيعي ليدين هذا السقوط السياسي ، وذلك بتعريته حد الشتائم ، حد اللعنة ، حد الخواء :

(في السياسة اردت ذلك ولكن تساقطهم الذليل امامي جعلني ابصق كبرياء ، واحتقر لحظاتي التي عشتها معهم باندفاع اصيل. جسدي ممدد الان في هذا المعتقل المحتشد مع هؤلاء الرجال الذين لا يتجانسون مطلقا في ثرثرتهم وشجاراتهم اليومية التافهة ، ولست ادري كيف انضووا تحت يافطة سياسية واحدة !) (ص ١٦ـ١٧)

ربما يضع الربيعي مسألة « الكم » ـ ومنها الناصري كنموذج ـ مقابل « النوع » في العمل السياسي (وهذا خطأ) اذ ان الكم يحتوي على العناصر التي تسقط منذ الهزة الاولى ـ كالناصريمثلا ـ وهذا لا يعني قطعا ، ان الحركات السياسيه مليئة بهذه النماذج المتخاذلة بل العكس هو الصحيح .. ولكن مثل هذه النماذج غير المتكاملة النضج والتجربة والتربية الثورية سببت الكثير من الهموم للحركات السياسية في العراق . وقد حمل الربيعي ثقل عبارة المسيح وقذفها بوجه جيله المعاصر : « من منكم بلا خطيئة ..»ولكن اية حجارة رماها الربيعي في الماء المتخثر . في الدم المتخثر، في الحزن المتخثر ؟ وهذا هو السؤال(ايضا) !

ولكي لا يكون لثمالة الحزن والذل والتعري ، وتعرية الواقع العسفي والانهيار السياسي ،عفويا ، معناه الايجابي .. فعل الربيعي تلك الفعلة ، ان انجز « الوشم » . وعنوان الرواية مستل من مقطع ورد في صفحة ٣٦ . عبر محاولة الربيعي الخلاص في الجنس :

(وعلى عنقها قافلة من الوشم .. كاشفة عن فخذين مطرزين بالوشم ايضا هما سلاح الاغراء لديها ..) (ص ٣٦) .

ازاء هذا « الوشم » العهر ، والعار الملتصق بالعهر ، أحس الربيعي بالغثيان . فهل يعني « الوشم » كعنوان ، حالة الغثيان التي اتته ـ اي البطل ومن ثم المؤلف ـ من عهر وعري ايامه الذلة، كالبغي التي حاول ان يضاجع ؟ هذه الايام التي استبيح فيها وأستلب ؟.

اظن : نعم ! وهنا يكمن عنصر الايجاب في رفض السلببالشخصية وبالاحداث وبالواقع وبالتصور ..

اذن « فالوشم ليست تجربة ذاتية ، بل وتجربة العديد من الذين حاولوا تغطية عريهم بالنقوش ، بالوشم ، او بالانزواء والصمت، او بالخوف من مواجهة الشمس ، أو بمحاولة العودة الى النبع ،

---

(١) نجد الكثير من التبريرات للسقطة في « الوشم » منها ماجاء في ص ٢٣ : « اعتقد ان اندفاعنا بدأ من هنا ، من وعينا الطبقي للمسألة . ان جهد والدي كان لا يساوي ربع الدينار في اليوم ، يحرث الارض ويشق الترع ، ويحرس في الليل ، ويبرد ويجوع ويمرض .. » الخ وهذا الجذر ، يتطلب موقفا اكثر وعيا من الاشياء واكثر صلابة . لكن الروح البورجوازية الصغيرة جعلت الموظف السابق كريم الناصري ينشق عن طبقته ، كابن لكادح فيما مضى ، فيحمل ذهنية وسلوك البني بورجوا المثقفة وهذا ينسحب على مجمل مواقفه السياسية من بعد .

ولكن ظل ذلك الذي كان في الداخل « قويا » ، منهارا وخائرا ومنخورا . من هنا يسير هؤلاء « المفرغون » أشباه : كريم الناصري، حسون السلمان (الذي صار الحاج حسون ..) ، حامد الشعلان، محسن خليل .. الخ . المفرغون بسبب العسف وعبر ادواته ، من ذلك الذي كانوا يمتلكون (الايمان ، الانتماء ، التنظيم ، الفكر .. والاخلاقية ايضا ..) ، وهم يحاولون ان يجدوا بعض وجوههم في « الوشم » . اذ كانت هذه الرواية القصيرة غرفة مرايا تعكس الذاتي بالذي يمكن ان يكوّن (او يشكل) الظاهرة ، والذي تكوّن مع الانتكاسة ، ومع ردود الفعل ، ومع حد السكين ، ظاهرة التخلي رغبة او خوفا او عسفا ، اي برغبة ذاتية خوفا من العسف ، او بفعل العسف نفسه ، لانه قطع العديد من اصحاب الانتماء عن انتماءاتهم ، - ولو تنظيميا على الاقل - ونسف ما في دواخلهم ..

هؤلاء الذين يشكلون الظاهرة يتحركون بيننا . كلنا عانينا سلبيات العسف . سلبيات الظاهرة التي هي الماضي يتحرك ويمشي على اقدام الزمن المنهار في الزمن الحاضر ، وان كان هذا المشي على ارصفة الحياة احيانا ، وعلى ضفاف الانتهازية احيانا اخرى ، او في محاولة تاتيب الضمير او التطهر ، او التشبث مجددا بالجذور .. هذا الواقع هو الذي يعيشه اكثر من كريم ناصري ، حتى الآن ..

وهذا الماضي الداخل في الحاضر لا زال يلاحق الكثيرين ، لا زال يشهر قميص السقوط السياسي يعذب هذا ، ويؤنب ذاك ، ويتدخل في حياة وتطلعات وطموحات اناس اشتغلوا بالسياسة وعاشوا التجربة المريرة .

اذن ، فالوشم بدء ، ادانة لكل ادوات وجهات العسف التي تقطع الانسان عن انتمائه وتسقطه في الذل والخيبة . وعبر هذا المنظور يكمن شرف طرحها في هذا الظرف ، اذ تشكل الرواية خلاصة معاناة الربيعي عبر مجاميعه القصصية (٢) معاناته في الجنس كتعويض عن السياسة : (ان اهم ما يشغلني الان هو : هل بالامكان ان تكون المرأة تعويضا كاملا عن الخيبة السياسية ؟) (الوشم ص ١٦) ..

ثم في الهروب من (المكان) كتعويض اخر :

(قلما تأزمت الامور وتعقدت نهرب منها بحثا عن بدايات جديدة ، هربت من الناصرية الى بغداد وساهرب من بغداد الى الكويت ، وربما من هناك الى ابي ظبي او انقرة ، ساكون مطاردا على الدوام) (الوشم ص ٨٦)

وفي هذه النرجسية التي تتجسد لدى كريم الناصري الذي يبحث عن التعويض في كل جزئيات حياته وحياة المحيطين به : (- اما انا فقد رأيتك مرارا وعرفتك .. كريم الناصري ! اليس كذلك ؟ يا له من اسم كبير رأيته في الصحف والمجلات عشرات المرات .

وشعرت بالزهو من هذا المديح السافل ..) (الوشم ص ١٤)

هذا الهدم الكبير ، هذه الهوة التي لا زالت تهطل بثقلها على العلاقات السياسية والاجتماعية والادبية بشكل حاد في العراق ، لا بد من الذي يصورها ، ولا بد من التعبير عنها .

انها وجه القضية في مرايا « الوشم » ، تجسدت في قصص اخرى ومتاهات اخرى ، ومعاناة هذا الجيل الذي نما وعيه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والذي اجهضت احلامه وتطلعاته بفعل تلك الصراعات التي عاشتها القوى السياسية في العراق حد التصفيات الجسدية او الاذلال .. نتائج هذا الماضي الذي يسحق بقوة وعنف كرامات الناس وحبهم وطموحهم ، ويسحق بشكل مأساوي وسادي كل محاولاتهم العودة الى النبع ، والذي يشكل الكابوس في كتابات كثير من الشباب ، وجد انعطافاته في « الوشم » :

(تناهى الى أسماعنا صوت محرك سيارة توقفت عند باب المعتقل، وتجمع المعتقلون حول الشبابيك ليتطلعوا اليها ، فقد كان الذعر يعسكر في القلوب منذ ان بدأت التحقيقات ، وكنا لا نعرف من الذي سيكون له الدور في المرة القادمة ..) (الوشم ص ٧٢)

و ...

(- انهم يقتلونهم

- يدفنونهم احياء

- ينقلون الى الصحراء) (الوشم ص ٦٦)

نعم .. ماذا اعطت هذه الرواية - القصيرة ، غير الادانة للسقوط السياسي ، عبر تبضيع هذا السقوط ومناخاته ونماذجه ونتائجه واجوائه اللاحقة الهروبية ؟

انها اعطت الصدق . فقد كان الربيعي صادقا في التعبير عن هذه التجربة ، وهو لا يكرس للسقوط - لاننا لا نحترم كريم الناصري ولا نتعاطف معه في النهاية ، بل نتعاطف مع رياض قاسم ، رغم ان المؤلف لم يمنح هذه الشخصية الانارة الكافية ..

صحيح ان عبد الرحمن الربيعي حافظ على صدق الوقائع - الى حد كبير - لكنه اسقط نموذجه (كريم الناصري) بالانا المضخمة ، والنرجسية حد السوداوية والهرب . اما النماذج الاخرى فقد شحبت وكادت ان تختنق في دائرة كريم الناصري : (علوان الحلاق ، مجيد عمران ، حسون السلمان ، جابر الموصلي ، محمود ، رياض قاسم ، حامد الشعلان ، محسن خليل ، الشيخ ، مريم عبدالله ، أسيل عمران يسرى توفيق ، وشهرزاد الراقصة ، الى جانب شخصيات سرعان ما تظهر وتنطفىء في نفس الصفحة ان لم ابالغ : في نفس السطور كشخصية عامر صبري مثلا في ص ٦٣ ..)

واذا كان الواقع او المجتمع وخاصة مجتمع السجن ، قد غص بعناصر فقدت كل اركان انتماءاتها .. وفقدت ، من ثم ، كل شيء .. وهي اكثر حدبة وانهيارا وتعرضا للعسف من نموذج « كريم الناصري » وان كانت حياة السجن شاقة حد العراك لاتفه الاسباب - احيانا - وحد القذف والشتائم والتخلي عن كل السياسة والسياسيين ، والقوى والنظريات من قبل العناصر المنهارة .. لكن هذا لا يعطينا صورة صادقة لشريحة تمثلها صيغة « كريم الناصري » ، صيغة لما تزل تتنفس ولكن من خاصرتها ، وتحاول خلق تواطؤها الخاص مع الظرف الجديد (ص٦٢ ٧٣، ٨٧) لكن كريم الناصري ليس « رجل الاستثناءات » - هنا - ، انه يذهب ويجيء وسط واقع عار ، انه ليس « غريبا » على الواقع - شكليا - لان الواقع مليء بامثاله ، عبر ذلك المد الخشن والجارح الذي تدفق فيه الدم وغاض الحياء . عبر ذلك الصراع الحاد ، الدموي بين اليمين واليسار .. انه وحيد ، هذا صحيح ، ومستلب ، ومغترب ايضا ، لانه لا يرى - الان - كثافة الشمس وعذوبتها ، كما كان يراها وهو وسط زحمة النضال اليومي والعمل السياسي ، لا يحس الاشياء نقية لانه خسر النقاء الثوري الذي كان في سبيله الى الوصول اليه - عبر التنظيم والتجربة والمراس - .. انه لا يرى وجوه اصدقائه كما هي ، لانها تغيرت عبر منظوره الجديد المنخذل ، او انه تغير في الواقع:

(تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض . سبعة شهور جائزة طوقته بدفائقها ورعبها، وهرست منه الدم والعظم والاعصاب.

---

(٢) صدرت للربيعي عبد الرحمن مجيد : « السيف والسفينة » (قصص - بغداد ١٩٦٦) . « الظل في الرأس » (قصص - بيروت ١٩٦٨) ، « وجوه من رحلة التعب » (قصص - بغداد ١٩٦٩) و « المواسم الاخرى » (قصص - بيروت ١٩٧٠) وله ايضا قصة - طويلة : « عيون في الحلم » نشرت في مجلة الاقلام العراقية العدد ٩ / ١٩٧٢ تشكل القسم الاول من ثلاثية - تأتي الوشم قسمها الثاني - وقد انجز الرواية الثالثة - او القسم الثالث من هذه الثلاثية - وهو معد للطبع .

خرج كريم الناصري سالما ، طويلا ومبتسما . يتفقد الاصدقاء ، ويرد التحية على الاخرين ويستقبل تهنئتهم بمناسبة اطلاق السراح .. ولكن في داخله كان هناك شيء قد نسف ، وهذا الاطار الاعتيادي الوقور ما هو الا قناع لاخفاء البقايا وتغطية التدمير الذي لا يرمم . وعندما يستعرض اشياء هذه المدينة ، اناسها ، ابنيتها ، ازقتها ، مقاهيها، لا يجد تلك الحرارة الاولى التي كانت تشده اليها ، فتلفحه حمى الاغتراب ويدعوه صوت من الاعماق لان يحمل رفاقه ويقلع لعل راسه اللاأب تحتضنه وسادة امان ..

وعندما وضع جسده في القطار الصاعد الى بغداد قال له حسون السلمان :

ـ اتمنى ان تصحو يا كريم وان تعود الينا باقرب وقت .

ـ ولماذا اعود : كيف نطيق اظهار وجوهنا الصفيقة للناس) (الوشم ص ٧) كريم الناصري ـ اذن ـ يقف وحيدا ومتخاذلا امام الحقيقة التي طرحها « هنري باربوس » :

« انني وحيد ، واريد ما ليس عندي،وما لم يعد عندي» (باربوس رواية « الجحيم » منشورات دار الاداب) حبه لاسيل عمران ، ولمريم عبدالله ، من ثم ليسرى توفيق . هذا الحب الذي احبط في كل الاحوال . يحتاج ـ به ـ كريم الناصري الى عالم جديد ، جديد .. فلقد خسر في ماضيه الروعة والاندهاش ، ويعاوده الحنين الى البديل ولكن هل « بهذه الحاجة » ـ اي الجنس والبديل ـ يعيش كريم الناصري « ومنها يموت » ؟ .. وهل كريم الناصري هو وجه عملة المعاناة في الواقع السياسي وبسببه ، ام ان هناك اكثر من نموذجفي القصة العراقية الطويلة ، او الرواية القصيرة المعاصرة ؟! في « كانت السماء زرقاء » يمنحنا الروائي الشاب اسماعيل فهد اسماعيل نموذج الانسان العبثي الرافض الذي تحاصره قوى العسف فيهرب .. ومن قبله كان شاكر جابر في روايتيه « الايام المضيئة » و« الهارب » ، قد اعطانا ملامح متشابهة ، واخر ما اطل علينا به خضير عبد الامير في روايته « ليس ثمة امل لكلكامش » ، وهي وجه اخر للنموذج الباحث عن البديل والمحاول تجاوز حالة الياس والاحباط .

ولكن عند عبد الرحمن الربيعي يشكل البطل كريم الناصري شرعية معاناة للسقوط السياسي ، بشكل واضح ، غير مرموز ، ولا مضبب. وهذا يعني ليس التكريس للسقوط بل ادانته .. اذ ان الروائي اسقط الناصري في كونه لم يتبنه ، بل ادانه . وقد استفاد الربيعي من تجارب روائية عالمية ـ منها على سبيل المثال « الدون الهادىء » لميخائيل شولوخوف ـ اذ ان بطل شولوخوف « كريكوري ميخايلوف » نموذج معاد للثورة ، لكنه اسقطه ، اذ بقي كذلك في حين نجحت الثورة .

ان اسقاط البطل في النهاية السلبية ليعني الانتصار علىسلبيته من قبل الروائي والمتلقي ، يعني حرمانه من حق التمتع بامتيازاته الالتزامية وبالحصانة الثورية ، وهذه المسالة تحتاج الى اضاءة في نقدنا المعاصر ، بسبب سوء الفهم الذي تجابه به مثل هذه الاعمال والتي يفسر ـ ضيقو الافق ـ نشرها بانها موقف ضد هذه الجهة السياسية او تلك .

و « الوشم » ـ بهذا الاعتبار ـ تشكل محنة الفنان ازاء انتمائه السابق ، فهو يبحث ـ كما قلنا ـ عن انتماء بديل او في العودة الى التفاؤل الاكثر شمولية :

(ـ ان للعلاقات الانسانية الطيبة انتماءها الاكبر

ـ اذن لماذا اخذت الامور ذلك المجرى ؟

ـ نحن الان جميعا تحت وطأة ثقل واحد ، والواجب يدعونا لان نتطهر من احقادنا الدفينة حتى لا نظل صيدا سهلا بيد الرجعية الى الابد !) (الوشم ص ٦٢) و ...

(اجاب جابر :

ـ سابقى هنا . ان حزبنا يعيد تجمعه من جديد ولن اتخلى عنه ابدا .

ـ كل الذي اتمناه يا جابر ان تعودوا ثانية وربما اعود بعودتكم فانتم التفاؤل الذي اضمناه) (ص ٨٧)

اذن .. فهذا البحث ، وهذا الحنين ، يتجسدان عبر الصراع مع الذات ، وتثوير « التجربة » في « الذاكرة » و « التداعي » ، وبين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل يظل « الوشم » ـ كرمز للسقوط ـ لصيقا بالناصري ، اذ انه الماضي الذي لا يمكن ان يشطب عليه ، الماضي الذي يدين الانحدار في داخل البطل .

ففي « الوشم » هذه الحدود المغلقة لعاطفة هشمها الزمن والهبها في ذات الوقت ، ولانتماء عمقه الزمن واضاعه العسف في ذات الوقت، ولحيوات لم تكتمل ملامحها باستفاضة ، ولطموحات احبطت ، وبعضها لم تسقط في الاحباط التام . وعبر ديالوج وتركيب صوتي وزمني متمازج ، يخوض الربيعي تجربة التخلص من « الشكلية » لينساب داخل تجربة الوجود ، بهذا الالتصاق الحار بالاشياء ، الاخريات والجسد العبث في الحياة ، المحنة ، الانتماء المقطوع ، الخيبة ، الحب القلق ، والحب المحرم ، التردد ، ثم الهروب . والخلاص في الهروب .

وعبر ذلك تبقى اهتزازات البطل عنيفة ومتوترة رغم عوامل الكبت وجودية الانغمار بالاشياء حد الاستلاب والغربة !

★ ★ ★

وعبر التداعيات ، وعبر الازمنة المتداخلة ، وعبر اللهاث نحو الخلاص ، يختنق كريم الناصري ، ويسعى لتحقيق ذاته ، ولكن عبر كل تراكمات ماضيه (الابيض ، الاسود) عبر تضاد اللونين ، وعبر كل الاشياء المتناثرة امامه بشحوب ، انه الموت يعود ليتحرك في حياة لا تزال تحمل سكينها وتهدد الاحياء .

« ويبدو ـ يقول جان ساروكي ـ هنا ان اقامة تطابق دقيق بين رواية وحياة ما ، اقل فائدة من رسم تخطيط تكوّن ادبي » (٣)

لذا فاننا ـ تجاوزا على مفردات الحياة اليومية للمؤلف ، واستفادة منها في ذات الوقت ـ سنكوّن تخطيطنا الادبي عن الرواية، ليس بمعزل عن شروط تفتحها وانتعاشها ، بل وصيرورتها ،حسب، بل ومع ـ وبالتفاعل مع ـ هذه الشروط (المادية ـ الموضوعية) التي احاطت « بالزمان » و « المكان » و « بالبطل » والشخصيات الاخرى.. ولنبدأ بالنساء :

فنساء « الوشم » : « مريم عبدالله » و « اسيل عمران » و « يسرى توفيق » والراقصة « شهرزاد » هن ـ ما عدا « يسرى » التي تشكل النقاء والعذرية والرمز للتوحد مع التطلع المشروع والبديل الاروع ـ يعشن احساسهن بالغربة والاستلاب (داخل البيت ، العمل، المجتمع ، العلاقات ..) ، فنساء « الوشم » يمكن « تحقيق هويتهن » ويمكن العكس تماما . وربما كان من العسف ان نقول ان « مريم » هي فلانة الحاضرة بوعيها وكثافتها ، في حياتنا اليومية ، وان «اسيل» هي المراة الفلانية ذات الاسم كذا والعنوان كذا ـ على الطبيعة ـ ، وان « يسرى » هي الاخرى ذات حضور معاشي واجتماعي ويومي محدد ..

لماذا ؟ لان كريم الناصري ـ ذاته ـ لم تتوفر فيه هذه التكونات البيئية بشكل مقنن ـ موضوعيا ـ بل قد يكون هو المؤلف مضافا اليه صفات المثقف البورجوازي الصغير ، النرجسي حد التضخم(شخصانيا) اما روائيا ، فكريم الناصري ـ كذلك الشخصيات الاخرى ـ يعيش ـ او يعيشون ـ حالة الانطفاء ، ولا يتحركون بعمق روائي مطلوب يكثف

---

(٣) جان ساروكي في مقدمة رواية « الموت السعيد » لالبيركامو بعنوان « تكوّن الموت السعيد » ـ الموت السعيد ـ منشورات دار الاداب ـ بيروت ـ ترجمة عايده مطرجي ادريس .

ابعادهم وتحركاتهم كما يجب . ففي « الوشم » لم اجد الانارة ، بل وجدت الانطفاء ، في النماذج .. وهذه الحالة تشكل التصوير الصادق لبعض جزئيات الواقع ، عانى منها العراق ، وهي « اضاءة » — في ذات الوقت — لهذه النكسة التي مر بها الانسان والثورة في مقطع زمني معين ، وهي « اضاءة » ايضا لذلك السقوط والاحباط الحادين ..

ان اول تنويه يمكن تثبيته ، هنا ، هو ان اهتمام المؤلف انصب على « التصورات » اكثر مما انصب على « الوقائع » ، بمعنى انه وضع صياغته التصورية لشخصياته وادانهم ، او اوجدهم معه ، متواطئين بالحب او بالرفض ، لا لانهم كانوا كذلك — فعلا — ومن جميع الوجوه ، بل لانه اضاف تصوره الخاص عنهم الى جانب ما كانوا ، او الى جانب بعض ما كانوا — على وجه الدقة — .. وهذا « الفصل » الروائي : التصور ... ، سمة ايجابية في عملية الخلق الفني (بخصوص النماذج للوصول الى حالة الاحباط التي عاشتها هذه النماذج ..) المستلة من الواقع والمضاف اليها تصور الفنان نفسه .

ان حيوات « الوشم » متشابكة الاذرع . ولكن باصابع مقطوعة تنزف دما . بمعنى انهم مزروعون على ارض واحدة ، في بستان واحد، لكنهم مستلبون .. يعيش احدهم في مقابل الاخر ، ولكن باتكفاء ذاتي، وكانهم سنابل تدور احداها وجهها عن الاخرى ، رغم انها في حقل واحد ، حقل اصيب — توا — بآفة ، فلم تعد الثمار فيه ، ثمارا !

لكن « الوشم » — العار — هنا — والاحباط والسقوط — الذي يلون اعماق هؤلاء — باستثناء رياض قاسم ويسرى ، التطلع والامل والعذرية — كان ادانة وكان قصورا — فنيا — عن الادانة . بمعنى ان تركيب الرواية يتطلب خلقا فنيا اكثر تكاملا واضاءة للشخصيات ، عبر مسار يرفع قبسه الايجابي منذ السطور الاولى وحتى الخاتمة ، كمقابل تكريم الناصري كشخص محبط .

ولا يكفي ان يتم ذلك عبر تعابير معلقة كقدح في الهواء ، اذ ان نموذج كريم الناصري ليس النموذج الامثل ، ولا الاوحد .. في تلك المرحلة ، .. فهناك — على الضد تماما — الابطال الذين دافعوا عن انتمائهم وعقيدتهم حد الشهادة .

من ثم .. فاذا اردنا ان نقسم « الوشم » كرواية ازمنة ، فهي تخضع لتضادات متوالية هي :

اولا : زمن الحضور الآني : بعد الخروج من السجن (مكتوبة بالحرف الابيض) .

ثانيا : زمن التوغل في الماضي : التداعيات والاحباط والجو الكابوسي الارهابي (مكتوبة بالاسود وداخل اقواس)

ثالثا : زمن التوغل في المستقبل : التطلع ومحاولة الخلاص في الهرب (اسود وابيض)

رابعا : زمن التفاصيل اليومية : الحب ، العمل ، الجنس ، المعاناة .. (الابيض) .

وهذه الرباعية الزمنية تتداخل ضمن بنية العمل الفني في شكل، غير مفرط في فنيته ، وغير مفتعل ، وعبر مضمون يدخل في تركيب السؤال التالي :

— هل السياسة تخلق الفرح ،ام الجنس ، ام العمل ، امالهرب؟. هذا اولا . او — هل الانتماء هو الاساس في الحياة ، اي الحياة هي الانتماء .. بمعنى ان الناصري وغيره ضاعوا حين فقدوا انتماءاتهم ؟!

واذا كانت الحواريات تؤكد هذا الضياع ، فان ادانة « اخطاء » الانتماء جاءت تبريرا مفتعلا للسقوط السياسي : (الاعتراف ، والبراءة ..) اي ان التبرير لم يات صادقا لموضوعة « الايمان بالتنظيم الثوري . اي بالحزب السياسي الطليعي) . وهذا يقودنا الى استنتاج ان كريم الناصري لم يكن اصيلا في انتمائه ، بمعنى انه كان منتميا ليس بدافع « طبقي » ولا قناعة ايديولوجية ، ولا ايمان صادق ..

— كما اسلفنا القول —

فاذا كانت « المعاناة هي حياة .. » واذا كانت « السعادة هي صبر طويل » ، فان السعادة الحقيقية ، تتحقق — بالنسبة للمنتمين الى جبهة النضال الثوري — في النضال . اما التعاسة فهي في الخنوع ..

من هنا ، فان « الانهزام » او الرضوخ المصسف ، او « الخنوع » هو مرادف « التعاسة » في « الوشم » . من هنا فان عملية البحث عن البديل تاتي جزءا — حارا وحيويا ايضا — من موضوعات الواقع والمجتمع والحياة اليومية . وهي — مبررة — ان توفرت النوايا الحسنة لدى كريم الناصري والشخوص الاخرى ، الذين يتحسسون سقوطهم السياسي في كل خطوة وفي كل لحظة .

اذن فهل كان « زمن »الناصري ، « ضياعا » في (المكان) الساكن: السجن . العمل . الوطن ؟ امانه توحد في ضياع جيل كامل خسر بعض طموحاته ؟

« واذا كان الزمن قالبا تصب فيه الاحداث في الرواية «البلزاكية» والرواية « الفلوبيرية » فانه نسبي في الرواية الحديثة ، عند جويس وكافكا وفوكنر وغيرهم ، اما في الرواية الجديدة فالامر يختلف تماما ، وحين يحاول الان — روب — جرييه ، ان يقول في رواياته ان لكل انسان زمنه الخاص ، وانه لم يعد هناك ، وجود لتلك العلاقة الكاذبة بيننا وبين العالم (علاقة الامتلاك والسيطرة في القرن التاسع عشر ، وعلاقة العبث في القرن العشرين) وان البطل الحقيقي في الرواية الجديدة هو « المكان » .. » (٤) فان (الوشم) تكتسب المكانية والزمانية وتدخل في تجربة العبث في ذات الوقت. اي انها استفادت من تجارب الرواية الواقعية ، والحديثة ، والجديدة ..وقد حقق الربيعي لبطلة تلك العلاقة الواضحة بزمنه الخاص ، وتلك العلاقة الواضحة بيننا وبين العالم الذي يحيط بنا .. فاذا كان « كريم الناصري » قد قام باعمال — في زمن ماض — لم يؤمن بها كلصق المناشير — مثلا — فهو حتى هنا ،قد تخلى عن هذه الاشياء — الذكرى في زمنه الجديد — بمعنى ان « التخلي » سياسيا و « الامتداد »زمنيا، متداخلان في (الوشم) . اي ان الرواية واقعية تركيبية (اقول تركيبية لانها مركبة من واقعية وواقعية حديثة ، وواقعية نقدية .. في ازمنة وتداعيات متداخلة) وقد جاءت لتعبر عن حس الفنان بضرورة العودة الى الواقع منهجا ومناخ عمل ، والى التصور ، كاضافة فنية تغني الشكل ، فبعد ان طلق الربيعي « التجريبية » في العمل القصصي لا بد ان تستهويه لعبة « الشكل » لا (الشكلية) .. من هنا (فالوشم) رواية واقعية متشكلة ،او تشكلت في الواقع عبر بنية تركيبية ،فهي ذات نفس رافض — رغم عتمة الاجواء — فالرفض هنا نوع من التطهر ، من الخروج عن السلب والانهزام بعد « التخلي » ومحاولة للعودة الى (الامتداد) او هي الامتداد ، ولكن بحنو غضوب وبفيض من السخط والمحبة اديا الى الضياع ومحاولة الهرب (٥) .

وبطل « الوشم » كما في سيزيف ، يحمل الصخرة ، كمن يحمل هموم عاره والدنيا كلها والعصر ، فيظل مشنوقا في مفترق الطرق، وهو ينظر بعينين لاهثتين الى المستقبل (زمنيا) ، والى خارج الحدود (مكانيا) ، لكنه بعد ان فقد حاسة الابصار « المنظم » المنتمي ..

---

(٤) نحو رواية جديدة : الن روب جرييه ، ترجمة مصطفى ابراهيم ماهر — دار المعارف بمصر .

(٥) في بحث سابق تناولت « الامتداد » و (التخلي) في الشعر العراقي بين عام ١٩٦٠ — ١٩٧٠ تطبيقا لجوانب هذا الاحباط السياسي في الشعر . (مجلة الكلمة — العدد الثالث الخاص بالشعر العراقي الحديث) .

ونسف الشيء الذي في داخله ، احس بانه منخور ، وبان من الصفاقة ان يواجه العالم بعريه وعاره ، من هنا فهو يبحث عن الخلاص في الهرب ، اي في التوغل الى مكانية وزمانية اخريين . ولكن ايـن يتجه الناصري ؟ اذا هرب من الناصرية الى بغداد ـ او العكس ـ فهو سيصطدم بالمكان ، اذ ان الخارطة لا تسقط من حسابها جزءا من الوطن بسهولة ، ولا يمكن للقصة ـ الرواية ، الا ان تطرح هذه الجدران والمعوقات الجديدة التي تواجه زمكانية البطل وجواز السفر ، والامكانيات الاخرى ـ مثلا ـ) .

اذن فالخلاص قد يكون الانتحار بالنسبة للمندحر سياسيا ، والذي يستشعر غربته معمقة في كل لحظة ، والذي يجد نفسه محاصرا حتى في السفر .

ولكن هل يجوز ان يقدم انسان العراق على الانتحار بسبب الاحباط السياسي ؟ كما فعل كامو نفسه ، ففي موته حقق خلاصه الوجودي ـ العبثي ؟ .

عند كامو يجوز تحقق هذا الفعل ، لكن عند الربيعي او اي عراقي اخر ، لا يجوز ، بسبب عوامل عدة ، نفسية واجتماعية تتعلق بتركيب وبنية الفرد العراقي ، من ثم المجتمع العراقي وطبيعة تعامله مع اليأس والقنوط ، والاحباطات ..

من هنا يظل البطل يعيش تمزقه في الزمن الحالي ، بسبب الزمن الماضي ويحمل ثقل ذلك العبء الى الزمن الاتي ، ايضا .

« ان الفكر وقد تكيف بالحياة التي يعكس كل احداثها ـ يقول الان روب جرييه ـ يكف عن تحصيل عناصر الحياة وجمعها في كل واحد . اننا لا نرى الا الحدث في الحدث ونرفض أن نرى فيه قصة حياة محكوم عليه بالفناء .. ان فكرنا يرفض ان يكون فكر حياتنا .. اننا ننظر الى الاشياء وهي تمر امامنا لننسى انها تنظر الينا ونحن نموت » (٦) .

بهذا الاحساس يحاول كريم الناصري ان يكون ، فاذا كانت محاولة جمل العالم « يشابهنا » قد فهمها البعض بشكل سيىء ، فان «الوشم» تطرح النقيض ، تطرح انا والعالم تلتحم عبر الاحداث والانتكاسات والفكر .. واذا اسقطت القوى المسفية ، ركنا من هذه الاركان ، فان الذي في داخل الانسان قد ينفلت ، وهو يفقد خاصة من خاصيات وجوده كمنتم ، اذن تتلاشى بقية الخواص ، لا كانسان بل كمنتم ..

ان عبدالرحمن الربيعي حاول ان يخلق بعض الترجيعات الغنائية التي تمنح شكل « الوشم » مضمونا عبر اللغة ، التداعي ، الوصف المكثف ، الحوار ، وعبر « الكولاج » بالكلمات ، اي الملصقات : قصيدة الشعر الشعبي . كاغنية حزينة (ص ٢٧) ورسالة الحاج حسون السلمان (ص ٢٤ ، ٢٥ ، وص ٣٤) والآيات القرآنية لحامد الشعلان (ص ٧٠ ، ٧٣ ..) ليعطي بذلك الدلالات الفنية لاثراء الجو العام للرواية ، وتاتي هذه اللعبة ، مع تداخل الازمنة وتشابك الاصوات والامكنة ، لتعمق استعداده الذاتي ، كفنان ، لمراقبة العالم والاستفادة من كل التفاصيل لاغناء موضوعه ولكن هل خلق عبدالرحمن الربيعي « نواة نظام » بطالب برفض الوشم ، رفض العار ، والانتماء في ذات الوقت ، كصخرة » فؤاد التكرلي (وهي مسرحية نشرت بمجلة مواقف بهذا العنوان) والتي رفض من خلالها « السياسية » والاحزاب والتنظيمات ، بالاستنتاج ، وبالتبعية ؟!

عند هذا الحد ندرك ان الربيعي حاول ان يفعل ذلك ، ولكن داخل موجة خلق « البطل » الوسط بين الانتماء واللاانتماء ، الوسط بين الموت والحياة ، بين البغض والمحبة ، بين اليأس والتفاؤل بين البحث والمغامرة والقنوط ، وباختصار : بين « الامتداد »و«التخلي» .

---

(٦) المصدر نفسه في الهامش الرقم (٤) .

وهكذا نجد الكاتب يعيد كتابة (الوقائع) مع (التصورات) ، فكريم الناصري واحد من الجنوبيين « وضع في الحياة » ووجد نفسه يواجه العالم ، انتمى سياسيا ، ثم اوقف لمدة سبعة اشهر ، لم يتحمل العسف ، سقط ، اعترف ، واعطى براءة ، خرج من الحزب والسجن والثورة ، لكنه وجد ارضا ترفض خطاه وعاره ، فراح يبحث عن البديل في اماكن اخرى ، يحلم بها : السفر . لكنه « كم كان غريبا عن حياته » وكأن الاشياء ليست اكثر من « فهرست للادانة » . لذا كان لا بد له اما ان نتكيف مع « الادانة » لذاته ، وافتعال الادانة للاخرين كي ينزع عن جلده لون الماضي او ان يموت ولكن بلا سعادة ولا معنى ، او ان يهرب ويرفض الزواج بمريم عبدالله او ببسرى ، بعد ان احبط في السياسة وفي الحب (من اميل عمران ..) لذا كانت المراة في « الوشم » تتقاسم ازمنة الناصري في محاولة لخلق التوازن مع الاشياء والعالم : ففي حين تشكل مريم عبدالله علاقة الزمن الضائع ، العبثي ، المسترد والمحبط ، تشكل أسيل عمران علاقة الزمن المستلب ، وتشكل يسرى علاقة الزمن الاتي ، المتمنى والذي لم يأت ..

فالناصري يعيش حالات استذكار لهذه الازمنة عبر النساء ، وعبر ذلك تتعمق حالة يأسه : (ولم يعد امام المتقاعدين مجال لكي يستعرضوا اوسمة ماضيهم الصدئة) (ص ٢٠) . و« يوم اعطيت راسي للكتب شربت الجبن والتخاذل ، ويوم اعطيته للانتماء عرفت الخيانة والهزيمة ، والاجدر بمرتد فاشل مثلي ان يخفي وجهه عن الانظار لا ان يعرضه كبضاعة كاسدة) (ص ٤٣) .

و(على اية حال ان السفر يمنحني فرصة البدء) (ص ٨) .

اما الزواج من مريم ، فانه « نكتة قديمة » (ص ٩٢) يرفضه ويرفضها في الختام .. ان الناصري « حاول ان يستعيد يقينه الضائع » ولكن مع من واين ؟. (لقد انتهت المسألة بطريقة باردة وردبئة) (ص ٨) بالنسبة اليه ..

ففي : (عالم الهرجين والاشباه .. في المدينة التي ما زالت تلعق جراحها وتنزع عن جسدها ثياب الحداد ، تعثرت خطواته في دروب العتمة والنضوب) (ص ٨)

عن هذا العالم ، (الزمان) يحاول الناصري ان يهرب ، اما «المدينة» (المكان) فهي لما تزل تلعق جراحها .. اي ان المكان منكوب .. ولما يزل .. وهو بهذا الشعور يعي الخسارة ويفجع بها ، تلك التي ابعدته عن انتمائه واسقطته في الاحباط السياسي والاجتماعي :

(انني ادور في طرق لا يعرفني فيها احد ...) (ص٨) فهو رجل: (خسر وظيفته والتزامه ومدينته) (ص٨) .. انه غريب كامو ، ولكن بمعاناة عراقية ، حادة ، لا تعرف الوسط ، معاناة :

(يغرقها ويخدرها بالسكر محاولة لتعميق غيابه حتى النفس الاخير) (ص ٩) ومع ان الناصري يضفي على نفسه هالة من الاعجاب وهي صفة نرجسية للبورجوازي الصغير كما قلت ـ وكما في لقائه الاول مع اسيل عمران حين يكره ان يكون جزءا من ذكريات انسان :

(ـ ولماذا ؟

ـ لانني اريد ان اكون كل شيء) (ص ١٥) .

لكنه لا يخفي ادانته لسقطته السياسية :

(هناك خبر ازفه اليك : لقد عينت محررا في احدى الصحف اضافة الى عملي في الشركة ، ولكنني اكتب باسم مستعار اغيره بين وقت واخر ، لا اريد ان اظهر اسمي الملطخ الى النور ، انه بحاجة الى فترة تطهير قد تطول او تقصر) ص ١٠ و١١) .

اذن فازاء « فترة التطهير » التي لم يجدها الناصري ، وضع الربيعي « نواة نظام » الا وهو الهرب من الماضي والحاضر ، من الزمان والمكان .. ولكنه ظل يدور في اطار شخصياته ، رغم انه منحها خصوصية

معينة وامتيازا ، لكنــه لم « يتعب » في صنعها ، مما ادى الى ان ينسحب ذلك على محمل الرواية وكانه كتبهـا وهـو مطارد بها ،محاصر بها ، ومطوق بموضوعها وكأن ثمـة نظامـا ، شخصا ، ظروفا سياسية واجتماعية ، تراقبه ابان الكتابة مع انه طرح هذه الشرائح الاجتماعيـة والوقائع بلا استرسالات واطنابات وصفية ، ولا تصوير دقيق لشخوصه بـل اعطى اللمحة واللمسة ، وبذلك جرد عمله من كل فيض زائـد يسيء ، لكنه مع ذلك اعطى « بدايـة » ، « نواة نظام » ، فنسـاء (الوشم) ـ مثلا ـحاول ان يجعلهن يتميزن بصفات متغايرة ، لكنـه في الناتج الاخير سقط في تشحيبهن ولم تمتلىء احداهن بعناصرهـا وكانهـن (يؤخرن ـ تطور ـ الرواية) كذلك بقية الشخوص .

واذا كان عنصر الاغناء ينشق ولا ينشق عن جذر الرواية ـ القضية بمعنى ان الروايـة لا تقشر عنصر اغنائها كقشر الجوز ، وتدعه يسقط فـان ذلك الطعم الذي يتركه القشر مضافا الى الجذر شكـلا ولونـا يمنح المتامل صورة ناضجـة الابعاد تمتلك عصير زيتها وخطوطها وكثافة الـوانهـا ..

لكن عدم توفر عنصر الاغناء ـ رغم التكثيف الجيد في الرواية ـ اضعف بنية العمل الفني ، فالشخصيات عمومـا متعبة فنيا وشاحبـة .. اي متعسف على تصورها الاضافي الذي خرج بعضها عن بعد ملامحها الواقعية .. وهذه الرقابة التي (أظن) ان الربيعي كان يمارسها ضد نفسه سياسيا واجتماعيا اسقطت شخصياته بهذا الشحوب والانطفاء، فلو كتبت « الوشم » دون التفكير باي ضغط سياسي او اجتمـاعـي قـد يواجه به المؤلف لاغتنت اكثر ، ليس في عدد صفحاتها ، بـل في شخصياتهـا ومدار الاحداث ـ اللااحداث ، فيها .

واذا كانت مواصفات الرواية ـ التي نريد ـ تتلخص كما يحددها (هـ . كوليه) في كتابه « الرواية حتى الثورة » في كونها :« تتعلـق بالتوتر الذي تتحدد فيه الملاحظـة الدقيقة وتصحيح او تعميق الواقعي بالمتخيل » ، فان الربيعي استطاع لحد مـا ان يخلق « التوتر » وان يلتقط « الملاحظة » ، ولكنه خلط بين الواقعي والمتخيل بحيث طغى الثاني على الاول في فهم الواقع وتحرك الشخصيات ، بحيث حاول ان يقول لنـا ان روايته ـ كلها ـ واقعية وفيهـا ما هـو متخيل،ضمنا ..

وهو هنا لم يفلح ، اذ ان البنية المتكاملة للعمل الروائي تاتيبدقة. قد يكون لتخيل المؤلف المواقف او تضخيمها ضرورة فنية ،لكنهـا ـ هنا في « الوشم ـ اساءت للمضمون . وكانت الانزلاقات الفكرية التي يطرحهـا كريم الناصري وغيره عبر سقوطهم السياسي ، قـد اخلـت بالواقع وشوهته ولكـن ليس لدرجة « الخيانة » ،اي ان الاحباطـات السياسية لا ترتدي بالضرورة قناع المهرج ، فربمـا يخـرج المهرج لنـا بوجهه الحقيقي المتعب والحزين ، فيؤثر بنـا اكثر من القناع .. اذ يشدنـا اليه الى قضيته اكثر ، انذاك سيكون عمل المهرج اروع بكثير من خبرة القفز على الحبال واللعب وسط الحلبة !

واذا امكـن القول « ان احسن ما في الرواية ليس روائيا » ،فان احسن ما في « الوشم » تجسيدها لبعض حالات السقوط السياسي والاحباط عبر واقع العسف ومسبباته .. وبذلك تكمن الادانة ، وان كانت غير مضاءة كمـا يجب ، لواقع العسف ،.. مع انها لم تضيء ايضـا واقع النضال اليومي الذي رافق العسف وتحداه .. ولكنحسنة « الوشم » انهـا طرحت هذا الواقع الذي تازمت فيه نفوس كثيـرة وفئات كثيرة ، وجرحه بمبضع مرتجف ومحاصر ومراقب .

الى جانب هذا فقد تميزت لغـة الوشم بعذوبة والفـة ، وبنثيث من الشاعرية ، يظهـر هنـا وهناك ، وبسلامة لغوية ، فكانت اللغـة مسهمة في تعميق كون « الوشم » روايـة شريحة واقعية ـ متصورة، مختزلة لحدث يمتليء بالدلالات السياسة والسيكولوجية والاجتمـاعية والسلوكية . وهي تشكل الحلقـة الثانيـة من عمل روائي اكبر ، تعتبر « عيـون في الحلم » التـي نوهنا عنها ، القسم الاول ،ومدخلا للثلاثية .. ففي « عيون في الحلم » البطل ايجابي في مرحلـة تاريخية ، سبق من مرحلة « الوشم » .. لقد كـان البطل مناضلا ، وحتى اقامتـه القسرية (نقلـه الى مدرسـة في الريف) لم يكـن فعلا سلبيـا، وتنتهي « العيون » عند الاعتقال .. ولكـن بعد الاعتقال ـ وهنا تبـدأ « الوشم » ، وبعـد العسف والسقوط السياسي ، تتغيـر البنيـة النفسية ، للبطل فيحس انه خسر مقومـات نضاله . وان شيئـا قـد نسف فـي داخلـه .

وبعد .. فثمـة ملاحظة اخيرة تتركز في كون « الوشم » ليست روايـة ذهنية ، بمعنى ان عبدالرحمن مجيد الربيعي لم يفلسف فيهـا الاحداث ، ولم يدخل في تهويمـات فكرية ونقاشات نظرية متعالية ، كما يحدث في مجمل القصص العراقي الجديد .. بل ظل ياخذالوقائع وبركبهـا ضمـن شكل فنـي اختـزل فيـه الكثيـر مـن التفاصيـل والتفاعـلات .

واخيرا .. يمكن القول ان عبدالرحمن مجيد الربيعي وجد نفسه اخيرا ، بمعنى انه استقـر على اسلوب فني في التعبير ، الواقعيـة تشكل مناخه العام والابتعاد عـن اصطياد اللفظة والتلاعب بهـا (كمـا كان ..) منهجا .. والالفـة في معاملـة شخصياته حـد الاختزال والتكثيف ـ والتشحيب ـ كذلك العوالم المحيطـة به ، جـوا للعمل القصصـي ..

وهذا حسبنا . فمنه ستبدأ انطلاقـة هذا القاص الشاب الحقيقية نحـو تخوم اعمال اكثر اهميـة واعمق دلالة وادق رصدا للوقائع ، ومعايشة ـ متفاعلـة ، لها ومعها ..

لقد كانت « الوشم » البيان السياسي والنفسي لعبدالرحمن مجيد الربيعي ، وانهـا الخلاص من ذلك الاحباط الذي عانى منه ، وبعـد ذلك سيصفـو مزاج القاص وفكره ،ويستقر على ارضية اكثر ثقة وصلابة وعطاء .. وهذا ما نتمنى ، ان الربيعي وجد نفسه .. وهذا حسبنا .

بغـداد **محمد الجزائري**

« دار الآداب تقـدم »

مؤلفات كولن ولسون

الشـــك	ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق	٥٠٠
ضيـاع في سوهو	ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق	٤٠٠
طقوس في الظلام	ترجمة فاروق محمد يوسف	٧٥٠
القفص الزجاجي	ترجمة سامي خشبة	٦٠٠
اللامنتمـي	ترجمة أنيس زكي حسن	٥٠٠
مابعد اللامنتمي	ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب	٤٥٠
سقوط الحضارة	ترجمة انيس زكي حسن	٦٥٠
رحلة نحو البداية	ترجمة سامي خشبة	٩٠٠
المعقول واللامعقول في الادب الحديث	ترجمة انيس زكي حسن	٥٥٠
اصول الدافع الجنسي	ترجمة شرورو وسمير كتاب	٦٥٠